

التبيان في تفسير القرآن

(433) قوله تعالى: فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين (98) آية معنى (فلولا) هلا، وهي تستعمل على وجهين: أحدهما - على وجه التحضيض والثاني - على وجه التأنيب كقولك: هلا يأتي زيد بحاجتك، وهلا امتنعت من الفساد الذي رغبت إليه. قال الشاعر: تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا (1) أي هلا تعدون الشجعان. وقوله " إلا الاواري لا يا يونس " نصب لانه منقطع كما قال الشاعر: أعيت جوابا وما بالربع من أحد * إلا الاواري لا يا ما ابينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد (2) وحكى الفراء: لا إن ما أبينهما وقال: جمع الشاعر بين ثلاثة أحرف في النفي (لاوان وما) وانما جاز فلولا كانت قرية آمنت لان المراد أهل قرية فحذف اختصارا من غير اخلال بالمعنى. وقوله " فنفعها ايمانها " معناه هلا كانت اهل قرية آمنت في وقت ينفعها الايمان، وجرى هذا مجرى قول فرعون " حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي " (3) فاعلم ان أن الايمان لا ينفع عند نزول العذاب ولا عند حضور الموت، وقوم يونس لم يقع بهم العذاب كأنهم لما رأوا الآية الدالة على العذاب آمنوا فلما آمنوا كشف عنهم العذاب. والنفع هو _____ (1) انظر 1 / 319، 435 (2) مر هذا الشعر في 1 / 44، 151 و 3 / 327 و 4 / 191 (3) سورة 10 يونس آية 90 (*)